
KUIS

HADIS
Jurnal Ilmiah Berwasit
Artikel - Artikel Berorientasikan Kajian dan Penyelidikan Dalam Bidang Hadis




INHAD

A Refereed Academic Journal in Hadith Studies

Published biannually by :
HADITH AND AQIDAH RESEARCH INSTITUTE (INHAD)
Selangor International Islamic University College (KUIS)
Bandar Seri Putra, 43600, Bangi
Selangor (Darul Ehsan) **Malaysia**
Tel: 03 - 8911 7000 Ext: 6129/6130. Fax: 03 - 8926 6279
Email: jurnalhadis@kuis.edu.my Web: www.journal.kuis.edu.my/hadis/

e - ISSN 2550 - 1585

المحدِّث الشيخ شَبِّيْر أحمد العثماني وجهوده في الحديث النبوي

سيد عبد الماجد الغوري

الباحث الزميل في معهد دراسات الحديث النبوي (إنهاد)،
والمحاضر في قسم الكتاب والسنة في الكلية الجامعية الإسلامية العالمية بسلانجور (ماليزيا).
samghouri@gmail.com

كان الشيخ شبير أحمد العثماني أحد كبار العلماء المشهورين في الهند، ومن أجلة المحدِّثين في العالم الإسلامي في هذا العصر، وقد قام بتدريس الحديث النبوي في العديد من الجامعات الإسلامية المشهورة في الهند وباكستان، كما ألَّف كثيراً من الكتب القيمة في موضوعات مختلفة، ومن أشهرها في الحديث: "فتح الملهم" الذي يُعتبر من أحسن الشروح لـ"صحيح مسلم". وكان ممن وضع الدستور الإسلامي لجمهورية باكستان حينما ظهرت إلى حيز الوجود. وهذا البحث يتناول التعريف بأهمِّ جوانب سيرته الذاتية والعلمية، مع ذكر إسهاماته في خدمة الحديث النبوي.

المبحث الأول: ترجمته الذاتية:

اسمه:

شبير أحمد بن فضل الرحمن، وقد سمَّاه والده "فضل الله"، ولكنه عُرف بـ "شبير أحمد" واشتهر به[1].

نسبه:

ينتهي نسبه إلى سيدنا عثمان بن عفَّان ﷺ، وأولُ من هاجر إلى الهند من أجداده هو الشيخ أبو الوفاء العثماني في أوائل سنة ٧٠٠هـ، فأقام في بلدة "ديوبند[2]" ثم استوطنها[3].

أسرته:

لم يعثر الباحث في كتب التراجم والتاريخ - على كثرتها – على تفاصيل هذه الأسرة، على خلاف غيرها من الأُسَر العلمية الموجودة في منطقة "ديوبند"، فقد اكتفى الباحثون بذكر والده فقط، فقد ذكره الأستاذ أبو عمار زاهد الراشدي، حيث قال: "كان الشيخ فضل الرحمن الذي يمتاز بالعلم، وكان خبيراً في شؤون التربية والتعليم"[4]. كما ذكره أيضاً القاضي فيوض الرحمن: "ووالده الشيخ فضل الرحمن من الرجال المعروفين في المنطقة، وصاحب النفوذ فيه؛ وذلك لتبحُّره في العلم، ونجابته، ونُبله، وحُسن خُلُقه، وكان على منصب كبير في وزارة التعليم، كما أنه عمل أيضاً لمدة كنائب المفتِّش للمدارس وقتئذ"[5].

---

[1] كما صرَّح بذلك في خاتمة تفسيره للقرآن الكريم، ص٨٠٨.

[2] وهي بلدة صغيرة تقع في شمالي الهند ، على بعد (١٥٠ ك م) من دهلي عاصمة الهند.

[3] ذكره الأستاذ أنوار الحسن الشيركوتي في كتابه "**حيات عثماني**"، انظر صفحة: ٦.

[4] الراشدي، أبو عمار زاهد، **شبير أحمد العثماني**، مقال منشور في جريدة "نوائ وقت"، عدد١٣ فبراير عام ١٩٨٠م، ص٣.

[5] القارئ، فيوض الرحمن، **مشاهير علماء ديوبند**، ج١، ص٢١٠.

تخرَّج الشيخ فضل الرحمن في "كلية دهلي" الشهيرة، وكان أديباً وشاعراً باللغتين الفارسية والأردية، وقد ساعد الشيخَ محمد قاسم النانوتوي[1] في تأسيس "دار العلوم الإسلامية بديوبند" وتنظيم إدارها، وظلَّ عضواً فعالاً في مجلسها للشورى حتى وفاته[2].

وقد رُزق – رحمه الله – بأولاد لهم أياد بيضاء في خدمة العلم في هذه البلاد، ومن أشهرهم:

١) المفتي الشيخ عزيز الرحمن العثماني: أحد كبار علماء الأحناف في الهند، ومن أبرز أساتذة "دارالعلوم ديوبند"، لاسيما في الفقه، وقد كتب أكثر من ثمانية عشر ألف فتوى أثناء تدريسه فيها، والتي طُبعت في مجلدات ضخام، توفي سنة ١٣٤٧ﻫ [3].

٢) الشيخ حبيب الرحمن العثماني: نشأ وتعلَّم في "دارالعلوم ديوبند"، وكان فقيهاً محدِّثاً، وأديباً بارعاً، وعالماً متضلِّعاً من اللغة العربية وآدابها، وكان مسؤولاً عن الشؤون الإدارية في دارالعلوم، وقد قطعتْ دارالعلوم في عهده شوطاً كبيراً من التقدم والرقي، توفي سنة ١٩٣٠م[4].

---

[1] هو الشيخ الإمام العالم الكبير: محمد قاسم بن أسد علي النانوتوي، أحد أكابر العلماء الربانيين، ومن رواد نهضة التعليم الديني في القارة الهندية. وُلد في قرية "نانوته" في عام ١٢٤٨ﻫ، وحفظ القرآن الكريم، وأخذ مبادئ العلوم الشرعية واللغة العربية والفارسية عن علماء ومشايخ "ديوبند" و"سهارنبور"، ثم قرأ الحديث على المحدِّث الشيخ عبد الغني بن أبي سعيد الدهلوي وعلى المحدِّث الشيخ أحمد علي السهارنبوري وأسند عنهما. ثم أسس مدرسة دينية صغيرة في بلدة "ديوبند" بمساعدة بعض أعيانها في عام ١٢٨٣ﻫ (الموافق ١٨٦٦م)، والتي تعد اليوم في كبرى الجامعات الإسلامية في العالم الإسلامي، توفي – رحمه الله – بديوبند في عام ١٢٩٧ﻫ ودُفن بها. وله مصنفات كثيرة تبلغ زهاء ثلاثين، كلها ذات شأن عظيم في علم الكلام، وفضل الإسلام، وإثبات عقائده وأحكامه، وكلها تدل على سعة علمه، وعُمق تفكيره، ودقة نظره في دقائق العلوم ومعارف الكتاب والسنة، وحكمته البالغة في الجمع بين خيري الدين والدنيا. (انظر: عبد الحي بن فخر الدين الحسني، **نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر**، ج٧، ص١٠٦٥، والرضوي: سيد محبوب، **تاريخ دارالعلوم ديوبند**، ص١٠٢، والبخاري: محمد أكبر شاه، **أكابر علماء ديوبند**، ص٢١).

[2] الشير كوتمي، أنوار الحسن، **خطبات عثماني**، ص٧.

[3] البخاري، حافظ محمد أكبر شاه، أكابر علماء ديوبند، ص٥٣.

[4] المرجع السابق، ص٨٩.

٣) الشيخ شبير أحمد العثماني: صاحب الترجمة، الذي كان أصغرهما سناً، ولكن أكثرهما علماً وصيتاً.

مولده ونشأته:

وُلد الشيخ شبير أحمد العثماني في بلدة "بَجْنُوْر" في العاشر من محرَّم سنة ١٣٠٥هـ (١٨٨٩م)، ونشأ في جوٍّ من العلم والأدب، تحت رعاية والده الفاضل، وأخوته العلماء، وأقبل منذ صغره على القراءة والمطالعة، وعلى حضور مجالس العلماء والمشايخ، ولازم كثيراً منهم ونهل من علومهم[١].

طلبه للعلم:

التحق بالمكتب وهو ابنُ سبع، وتعلَّم اللغة الأردية والفارسية لدى علماء بلدته وبعض مدرِّسي "دارالعلوم ديوبند".

وبعد أن فرغ من تحصيل أهم مبادئ علوم الشريعة واللغات العربية والفارسية والأردية؛ التحق بـ"دار العلوم ديوبند" عام ١٣١٩هـ، وكانت وقتئذ – ومازالت إلى يومنا هذا – أكبر جامعة إسلامية في الهند، تزخر بكبار العلماء في كل علم، في الحديث الشريف وعلومه، وفي التفسير وعلوم القرآن، والفقه وأصوله، والتاريخ والأدب، والمنطق وعلوم العربية. وقد أدرك الشيخ شبير أحمد في هذه الجامعة رجالاً جمعوا إلى علومهم الناضجة وقدراتهم الدقيقة: رِفق القول، وصِدق اللهجة، وحسن السلوك والعمل، أصحاب هيئة ووقار، وأصحاب سنة وورع وزهد وتقوى، فكسته صحبتهم بكسائها، وأفاد منهم علماً صحيحاً، ورأياً صائباً، وشغفاً باتِّباع السنة وتحصيلها ونشرها، وبهاءً في الملكات الفطرية، وجمالاً في الأخلاق والآداب[٢]، وتخرَّج في دار العلوم حائزاً مرتبةَ الشرف الأولى في عام ١٣٢٥هـ، وغدا عالماً فاضلاً مرموقاً، نابغاً في علوم الرواية والدراية، وهو ما

---

[١] الرضوي، تاريخ دارالعلوم ديوبند، ص٩٨، ٩٩.

[٢] أبو غدة، عبد الفتاح، **تراجم ستة من فقهاء العالم الإسلامي**، ص١٥، ١٦.

يزال في مقتبل شبابه[1].

شيوخه:

١ – الشيخ محمد ياسين العثماني[2]:

أحدُ العلماء الملمين بالأدب الفارسي في عصره، وُلد في "ديوبند" عام ١٢٨٢هـ، ودرس في "دارالعلوم ديوبند"، وكان من أوائل الطلاب الذين تلقّوا العلم فيها في عهدها الأول، وكان – إلى جانب تمكنه من العلوم الشريعة – ملماً بالأدب الفارسي، وقد قام بتدريس اللغة الفارسية في دارالعلوم قرابة أربعين عاماً، فتتلمذ عليه جيل كامل. توفي – رحمه الله – عام ١٣٥٥هـ. وله آثار علمية ممتعة في اللغتين العربية والفارسية، ومعظمها تدور حول الأدب[3].

٢ – الشيخ محمود حسن الديوبندي:

هو العالم الجليل، العلامة المحدِّث، المجاهد الكبير: الشيخ محمود حسن بن ذو الفقار علي الديوبندي، المعروف بـ"شيخ الهند"، يقول عنه الشيخ عبد الفتاح أبو غدة: " وكان في الحديث الشريف مُسنِد الوقت، ورُحلة الأقطار الهندية، وكان مرتوياً من علوم القرآن والسنة والفقه والأصول وغيرها من العلوم مع مواهب فطرية عالية"[4].

وُلد في بلدة "بَرِيْلِي" في عام ١٢٦٨هـ، ونشأ بقرية "دِيُوْبَنْد"، ولازم الإمامَ محمد قاسم النانوتوي ملازمة طويلةً، واستفاد منه. ثم تولّى تدريسَ الحديث النبوي في "دارالعلوم ديوبند" في سنة ١٣٠٥هـ، ، فأصبح لدروسه دوي في أرجاء الهند، وتهافت عليها الطلاب من كل حدب وصوب، وتخرَّج على يده عدد كبير من العلماء الذين لهم

---

[1] البخاري: أكابر علماء ديوبند، ص١٠٦، ١٠٧.

[2] وهو والدُ العلامة المفتي الشيخ محمد شفيع العثماني، (مفتي جمهورية باكستان الأول)، رحمه الله، وجدُّ القاضي الشيخ محمد تقي العثماني، حفظه الله.

[3] انظر: لقمان حكيم، **محمد تقي العثماني: القاضي الفقيه والداعية الرحالة**، ص: ١٤، ١٥.

[4] أبو غدة، تراجم ستة من فقهاء العالم الإسلامي، ص١٦.

خدمات جليلة في نشر الحديث في هذه البلاد[1]. ومما يجدر بالذكر أنه من أوائل من فكَّر في تحرير الهند من الاستعمار البريطاني، ووضع خطّةً لذلك، وأبلى في ذلك بلاءً حسناً. توفي – رحمه الله – في عام ١٣٣٩هـ.

وله تعليقات مفيدة على كتب لحديث، مثل: "سنن أبي داود"، و"جامع الترمذي"، كما أن له رسالة قيمة باسم "الأبواب والتراجم" تكلَّم فيها بالتفصيل على تراجم "صحيح البخاري" وأبوابه[2].

لقد وجد الشيخُ شبير أحمد عند هذا الشيخ الجليل ضالته التي ينشدها، والعلوم التي يتطلبها، فقرأ عليه الكتب الستة، وكان الشيخ يفتخر به ويفضِّله على غيره من التلامذة بعد أنْ لاحظ فيه آثار النبوغ المبكّر، وعلامات البروز والتفوُّق في الحديث النبوي.

٣ – العلامة محمد أنور شاه الكشميري:

هو الفقيه المجتهد، العلامة المحدِّث: الشيخ محمد أنور بن معظم شاه الحسيني الكشميري، أحدُ علماء الحديث الأجلاء، وكبار الفقهاء الأحناف، وُلد في قرية "ودوان" بكشمير في عام ١٢٩٢هـ. سافر إلى "ديوبند" في سن مبكر، والتحق بدار العلوم، وتتلمذ على كبار علمائها المحدِّثين[3]. ثم وُلِّي التدريس بـ"المدرسة الأمينية" بدهلي، ثم في دار العلوم ديوبند ، فدرَّس "صحيح البخاري" و"جامع الترمذي"، وانتهت إليه رئاسة تدريس الحديث في الهند، وبقي مشتغلاً به مدة ثلاث عشرة سنة، وخلال هذه المدة تخرَّجت على يده نخبة مباركة من العلماء الذين اشتغلوا بتدريس الحديث ونشر العلم[4].

---

[1] أمثال: الشيخ أشرف علي التهانوي، والشيخ محمد أنور شاه الكشميري، والشيخ حسين أحمد المدني، والشيخ شَبِّير أحمد العثماني، والشيخ مناظر أحسن الكيلاني وغيرهم.

[2] انظر: عبد الحي الحسني، نزهة الخواطر، ج٨، ص١٣٧٧، ١٣٧٩. والبخاري، أكابر علماء ديوبند"، ص٤١، ٤٤. والقاسمي: محمد حبيب الرحمن، **علماء ديوبند وخدماتهم في علم الحديث**، ص٧٨، ٨٤.

[3] أمثال: الشيخ خليل أحمد الأنصاري، والشيخ محمود حسن الديوبندي، والشيخ رشيد أحمد الكنكوهي.

[4] منهم الجدير بالذكر: الشيخ محمد يوسف البنوري، والشيخ بدر عالم الميرتهي، والشيخ محمد إدريس الكاندهلوي، والشيخ أحمد رضا البَجْنُوري، والشيخ منظور النعماني، والشيخ حبيب الرحمن الأعظمي وغيرهم.

ثم رحل إلى (دابهيل) في مقاطعة (غجرات)، وأسَّس بها معهداً كبيراً يُسَمَّى بـ"الجامعة الإسلامية"، وإدارةً للتأليف والترجمة تُسَمَّى بـ"المجلس العلمي"، فعكف هناك مدةً على التدريس والإفادة وإنجار الأعمال العلمية، وأمَّه طلبة علم الحديث والعلماء من أنحاء البلاد واستفادوا منه، ثم رجع إلى ديوبند وتوفي بها في عام ١٣٥٢هـ.

ولم يتسنَّ له – رحمه الله – أن يؤلِّف كتاباً مستقلاً في الحديث النبوي رغم جميع المؤهلات العلمية الموجودة لذلك في شخصيته الفذة، وأمَّا ما خلفه من كتبٍ فيه فهو عبارة عن أمالٍ كتبها عنه تلامذته النجباء فضبطوها، مثل: "فيض الباري على صحيح البخاري"، و"العَرْف الشَّذِي على جامع الترمذي"، وأماليه على كل من "صحيح مسلم"، و"سنن أبي داود" و"سنن ابن ماجه"[١].

وقد لازمه الشيخ شبير أحمد ملازمةً أكسبته الفضائل الفريدة، والعلوم الدقيقة فيما أخذ عنه.

في مجال التدريس:

رُزِقَ الشيخُ منذ صِغره الذكاء النادر، والفهمَ الدقيق، فكان أيام طلبه للعلم يصرف جلّ أوقاته في المذاكرة مع زملائه. ثم إنه لما تخرَّج في دار العلوم ديوبند؛ قام فيها بتدريس أمهات كُتُب المنطق وعلم الكلام وغيرها من كتب العلوم الدقيقة.

ثم دُعي إلى "مدرسة فتحبوري" بدهلي أستاذاً لها، والتي كانت أكبر المدارس الدينية بدهلي وقتئذ. فمكث في هذه المدرسة مدة قصيرة، ودرَّس فيها أمهات الكتب من الحديث والعلوم الأخرى.

ثم رجع إلى ديوبند تلبيةً على دعوة من رئاسة دارالعلوم، وعُيِّن أستاذاً للحديث والتفسير فيها، وقد استفاد منه الكثير من الطلاب الوافدين إليها من مختلف أرجاء الهند.

---

[١] انظر: عبد الحسني، نزهة الخواطر، ج٨، ص١١٩٨، والغوري، أعلام المحدثين في الهند في القرن الرابع عشر الهجري، ص٨٧.

ثم انتقل في عام ١٣٤٨ﻫ إلى "دابهيل" مع شيخه محمد أنور شاه الكشميري؛ وتولّى فيه تدريسَ "الجامع الصحيح" للإمام مسلم، و"تفسير القرآن الكريم" للبيضاوي، وغيرَهما من الكتب الدرسية الجليلة.

ثم رجع إلى ديوبند في عام ١٣٥٤ﻫ، وعيِّن رئيساً لها، ولم يزل يؤدِّي واجبه بهذه الصفة إلى أن اعتزل عن رئاسة دارالعلوم في عام ١٣٦٢ﻫ ، واشتغل بالجامعة الإسلامية بدابهيل مرةً أخرى بعد وفاة شيخه العلامة أنور شاه الكشميري، واستأنف تدريس الحديث النبوي، فدرَّس من كتب الحديث "صحيح البخاري" و"جامع الترمذي"، ثم عاد إلى ديوبند بعد مرضه، فآثر البقاء في بيته يلقي الدروس في تفسير القرآن الكريم والحديث النبوي[1].

تلامذته:

وخلال تدريسه في كل من "دارالعلوم الإسلامية" بديوبند و"الجامعة الإسلامية" بدابهيل؛ تخرَّج على يده عدد مبارك من العلماء البارزين في الحديث، الذين لهم خدمات جليلة فيه تدريساً وتأليفاً وتحقيقاً، ومن أشهرهم:

١) المفتي العلامة محمد شفيع العثماني (ت١٣٩٦ﻫ): مفتي جمهورية باكستان الأول، ومؤسس "دار العلوم الإسلامية" بكراتشي، وصاحب المؤلفات القيمة، وأشهرها: "معارف القرآن"[2].

٢) والعلامة الجليل الشيخ مَناظِر أحسن الكِيْلاني (ت١٩٥٨م): صاحب كتاب "تدوين الحديث"[3] المشهور[4].

---

[1] انظر: البربي: عبد الرحمن، **علماء ديوبند وخدماتهم في علم الحديث**، ص١٩٢، والأعظمي: فضل الرحمن، **تاريخ الجامعة الإسلامية بدابهيل**، ص٣٣٨، ٣٣٩.

[2] انظر لترجمته: لقمان حكيم، **محمد تقي العثماني: القاضي الفقيه والداعية الرحالة**، ص: ١٥، ٢٠.

[3] نقله إلى العربية الدكتور عبد الرزاق إسكندر، وطُبع بمراجعة الدكتور بشار عواد معروف، في دار الغرب الإسلامي ببيروت عام ٢٠٠٤م.

[4] انظر لترجمته: البخاري، أكابر علماء ديوبند، ص١٩٦.

٣) والمحدّث الشيخ محمد يوسف البِنّوري (ت١٣٩٧هـ)[1]: مؤسس "دار العلوم بنوري تاؤن" بكراتشي، وصاحب "معارف السنن" شرح جامع الترمذي.

٤) والمحدِّث الشيخ بدر عالم الْمِيْرَتِهي (ت١٣٨٥هـ)[2]: صاحب "ترجمان الحديث"، ومن أعماله العلمية الجليلة في الحديث ضبطُ وتقييدُ دروسِ شيخه المحدِّث محمد أنور شاه الكشميري في "صحيح البخاري"، والتي طُبعت فيما بعد باسم: "فيض الباري".

٥) والمفسِّر المحدِّث الشيخ محمد إدريس الكاندهلوي (ت١٣٩٤هـ)[3]: صاحب مؤلفات قيمة في الحديث، مثل: "التعليق الصبيح على مشكاة المصابيح"، و"تحفة القارى بحل مشكلات البخاري"، و"حلُّ تراجم أبواب البخاري"، و"منحة المغيث شرح ألفية العراقي في الحديث" وغيرها.

وغيرهم ممن يطول ذكرهم هنا.

رحلاته إلى خارج الهند:

سافر الشيخ مرتين إلى الحجاز لقصد أداء فريضة الحج، والمرة الأولى في عام ١٣٢٨هـ، وأما المرَّة الثانية ففي عام ١٣٤٤هـ مندوباً من "جمعية علماء الهند" على دعوة الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن بن فيصل آل سعود (ت١٣٧٣هـ) رحمه الله[4].

---

[1] انظر لترجمته: مجلة "البينات" الأردية، العدد الممتاز عن الشيخ البنوري، (الصادرة عن كراتشي: جامعة العلوم الإسلامية، عدد شهر محرم الحرام، عام ١٣٩٨هـ (فبروري عام ١٩٧٨م). ومحمد خير رمضان يوسف، تتمة الأعلام للزركلي، (بيروت: دار ابن حزم، ط٢، ١٤٢٢هـ، ٢٠٠٢م)، ج٢، ٢٤٠.

[2] انظر ترجمته: أكابر علماء ديوبند، ص٢٢١، ٢٢٦. وعلماء ديوبند وخدماتهم في علم الحديث، ص١١٦٥، ١٦٨.

[3] انظر لترجمته مقدمة "**منحة المغيث شرح ألفية العراقي في الحديث**" للدكتور ساجد عبد الرحمن الصديقي، (بيروت: دار البشائر الإسلامية، ط١، ١٤٣٠هـ، ٢٠٠٩م)، ص٤٩، ٧٠. والبخاري، أكابر علماء ديوبند، ص٢٢٠،٢١٥، والبرني، علماء ديوبند وخدماتهم في علم الحديث، ص١٦٨، ١٧١.

[4] العثماني، شبير أحمد، **فتح الملهم بشرح صحيح مسلم**، ج١، ص٨.

مشاركته في مجال الدعوة والإرشاد:

وللشيخ إنجازات عظيمة في ميادين نشر الإسلام والعلم، وفي مجال الوعظ والإرشاد، ولم يَبْقَ بلدٌ من بلاد الهند إلا وقد ارتجّ بصوت الحق والدعوة إلى الله. كما أن له جهود جبارة في المناظرة مع الهندوس[١].

مساهمته في السياسة:

وكان من خيرة علماء هذه البلاد العاملين وقتئذ، والذين أرشدوا مسلميها إلى طُرُق الرشد والهداية، وأناروا لهم سُبُلَ الخير والسعادة في جميع نواحي حياتهم الاجتماعية والثقافية والسياسية، كما أنه لم يدع ميداناً من ميادين السياسة يتعلق بصالح المسلمين إلا وساهم فيه مساهمة فعالة، وله دور بارز في استقلال الهند من الاستعمار البريطاني، وعُدَّ في سبيل ذلك في صف كبار قادة التحرير، والساسة البارزين أمثال: غاندي (ت١٩٤٨م)، ومولانا أبي الكلام آزاد (١٣٧٧هـ)، وجواهر لال نهرو (ت١٩٦٤م) وغيرهم[٢].

دوره في تأسيس دولة باكستان ووضع الدستور الإسلامي لها:

ولما بَرَز قرارُ استقلال باكستان كدولة إسلامية مستقلة، أيّده الشيخُ بكل صراحة وقوّة، وبذل في سبيل ذلك كل غال ونفيس، وحين استقلّت باكستان عن الهند عام ١٩٤٧م؛ التمس منه مؤسسها السيد محمد علي جناح (ت١٩٤٨م) أن يكون الشيخُ أول من يرفع رايتها، اعترافاً وتقديراً بما قام به من جهود عظيمة في إيجاد هذه الدولة على خريطة العالم الإسلامي. وكان لمساعيه الجليلة، اتخذت حكومة باكستان قراراً بأن يكون دستورها دستوراً شرعياً منبثقاً من الكتاب والسنة.

---

[١] انظر: الرضوي، تاريخ دارالعلوم ديوبند، ص١٠٠.

[٢] انظر: البرني، عبد الرحمن، علماء ديوبند وخدماتهم في علم الحديث، ص١٩١.

صفاته الْخَلْقِيَّة والْخُلُقِيّة:

وقد ذُكر في صفاته الشيء الكثير، وملخصها: أنه كان طليق الوجه، أبيض اللون، أنيق المظهر، ذكياً وفطناً، متواضعاً، ذا رأي صائب، صادق القول، فصيح اللسان، سليم الفكر، دائم الذكر لله، وكثير التلاوة للقرآن الكريم.

وأنه كان تقياً ورعاً، زاهداً ومتواضعاً، لا يحب التكلف والتصنع في حياته. حيث عاش حياته كلها زاهداً في الدنيا، طالباً للآخرة، مع إمكانه – خاصةً بعد أن انتقل إلى باكستان حيث كان له شأن عظيم ومكانة مرموقة لدى الحكومة – أن يعيش حياة رغد ورفاهية[1].

ومن أخبار تواضعه أنه قام بأعمال علمية كبيرة في هدوء وسكينة دون أن يُطلع عليها أحداً، ويجعل لها دعاية – شأن كثير من المؤلفين اليوم – كما اعترف بذلك الشيخ محمد زاهد الكوثري (ت١٣٧١هـ) حين اطَّلع على شرحه لـ"صحيح مسلم" فكتب في رسالة إليه قائلاً: "أبديتم بشرح (صحيح مسلم) هذا عن علم غزير، وفضل فيَّاض، في هدوءٍ تامٍّ، وسكينة كاملة، في كل أخذ وردٍّ، كما هو شأن أرباب القلوب من السلف الصالح..."[2].

وكان محباً للعلم، وحريصاً على الاطلاع على كل ما تطبعه دور النشر من الكتب، ويقضي جُلَّ وقت فراغه في المطالعة، يقول القاضي الشيخ محمد تقي العثماني وهو يتحدَّث عن الشيخ وعن حرصه على التزود بالعلم، وتواضعه في ذلك: "فإذا أراد الشيخ شبير التحقيقَ في أي مسألة فكان يذهب إلى والدي الشيخ محمد شفيع ليطلع على الكتب الموجودة لديه، وكثيراً ما كانت تنعقد المجالس العلمية عنده، وكان الشيخ شبير يشترك فيها برغم ضعفه ومرضه، ويصعد سُلَّمَ البيت حتى الطابق الثالث ... "[3].

---

[1] زيتون بيغم، **العلامة شبير أحمد العثماني وآثاره العلمية**، (بحث منشور في مجلة "الدراسات الإسلامية" العدد٣٠، المجلد٢٦، عام١٤١٢هـ، ١٩٩١م)، ص١١٨، ١٢٤.

[2] العثماني، شبير أحمد، فتح الملهم بشرح صحيح مسلم، ج١، ١٢.

[3] العثماني، محمد تقي، من مقاله المنشور عن الشيخ شبير، عدد ممتاز عنه لمجلة "البلاغ"، ص٣١٤.

وفاته:

عانى الشيخ من أمراضٍ عديدةٍ في آخر عمره، ولكنه بقي صابراً عليها، نشيطاً في أعماله العلمية والتدريسية، والدعوية والإصلاحية دون أن يستسلم لها، و لم يزل كذلك حتى سافر إلى "بَهَاوَلْفُور" على دعوة رسمية لتدشين الجامعة العباسية هناك، حيث وافاه أجله المحتوم، يوم الثلاثاء ٢١ صفر ١٣٦٩هـ (الموافق ١٣ ديسمبر ١٩٤٩م) ، ثم نُقلت جثّته إلى "كراتشي"، وصلّى عليه الشيخ محمد شفيع العثماني، في جمع كبير ينيف على مئتي ألف مصلٍّ، كما صُلِّي عليه أيضاً في الحرمَين الشريفَين[1].

آثاره العلمية:

لقد ترك – رحمه الله – آثاراً علمية في مختلف مجالات العلم والفن من التفسير، والحديث، والفقه، وعلم الكلام، والمنطق، وكلُّها يدل على رسوخه الكامل، وتمكُّنه التام من العلوم العقلية والنقلية، و لم يزل يكتب ويؤلِّف طوال حياته برغم اشتغاله بالتدريس والأمور السياسية، فصنَّف كتباً كثيرةً تزيد على عشرين كتاباً، منها:

١- **الفوائد التفسيرية**: وهي عبارة عن تعليقاته على "معاني القرآن الكريم بالأردية" لشيخه العلامة محمود الحسن رحمه الله، وكان قد بلغ إلى آخر سورة النساء و لم يتمه، فأكمله الشيخ العثماني مع تعليقات مفيدة عليه، والتي أصبحت بمثابة تفسير وجيز للقرآن الكريم، يقول عنه الشيخ نور البشر بن محمد: "وإن هذا التفسير مع صغر حجمه لبحرٌ زخار للمعارف، يتموَّج بالدرر واليواقيت، يروق للنواظر، ويثلج الصدور، جامع بين أشتات الفوائد القديمة والحديثة، يطرد الشبهات الجديدة منها والقديمة، بين كتابة معقولة مبرهنة، ومأثورة سلفية مرسخة، يحتوي على عقيدة السلف وطرازهم"[2].

---

[1] انظر: الرضوي، تاريخ دارالعلوم ديوبند، ص١٠١.

[2] نور البشر بن محمد نور الحق، **شيخ الإسلام العلامة شبير أحمد العثماني: حياته وأعماله وتآليفه،** المطبوع في مستهل كتاب "فتح الملهم بشرح صحيح مسلم"، ج١، ص١٠.

وقد نال هذا التفسير قبولاً عظيماً في جميع الأوساط الدينية في شبه القارة الهندية، وطبعه "مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف" بالمدينة المنورة في عام ١٤١٣هـ (١٩٩٣م)، ووزَّعه على ناطقي اللغة الأردية بآلاف العدد، كما أنه نُقل إلى بعض اللغات العالمية كالإنكليزية والفرنسية والفارسية والبشتوية والتاملية.

٢- **الروح في القرآن**: وهو بحث دقيق علمي عن الروح، كتبه في ضوء ما ورد في القرآن الكريم.

٣- **معارف القرآن**: وهو عبارة عن مجموعة مقالاته التي كتبها بالأردية حول معارف قرآنية في مجلة "القاسم" في عام ١٣٣١هـ، والتي كانت تصدر عن دارالعلوم ديوبند.

٤- **إعجاز القرآن**: وهي رسالة قيمة تتناول موضوع إعجاز القرآن الكريم.

٥- **أسباب وقوع التكرار في الآيات والقصص القرآنية**: وهي رسالة صغيرة، رد فيها الشيخ على بعض الناس الذين اعترضوا على القرآن الكريم بأنه لو كان من عند الله لما وقع فيه التكرار في آياته وقصصه، فكتب الشيخ هذه الرسالة رداً على اعتراضاتهم وشبهاتهم.

٦- **الإسلام**: تحدَّث فيه عن أهم العقائد الإسلامية مثل: وجود الباري عزَّ وجلَّ، والتوحيد، وبعثة الأنبياء والرسل، ووجود الملائكة وغيرها من المباحث العقدية.

٧- **العقل والنقل**: وهي مقالة علمية نفيسة في موضوع دقيق، ذكر فيها الشيخ أن العقل السليم والنقل الصحيح لا يتعارضان أبداً، وتحدَّث عن مختلف جوانب هذا الموضوع حديثاً علمياً مسهباً. طُبعت هذه المقالة في مجلة "القاسم" في عام ١٣٣٣هـ.

٨- **الشهاب**: تناول فيه بحثاً عن الارتداد في الإسلام وحكم المرتد في الشريعة الإسلامية.

٩- **الدار الآخرة**: وهي مقالة قيمة حافلة بالفوائد الجليلة والتحقيقات القيمة، تحدَّث فيها الشيخ عن الدار الآخرة كعقيدة أساسية في الإسلام.

١٠- **الهدية السنية**: وهي عبارة عن مجموعة بعض المسائل العلمية التي وجَّهها إليه بعض تلامذته ليعرفوا عنها رأي الشيخ، فكتب هذه الرسالة مبدياً رأيه فيها.

١١- **تحقيق خطبة الجمعة:** أثار بعض الناس أن خطبة الجمعة تجوز في أية لغة كانت غير العربية. فكتب الشيخُ هذه الرسالة وأثبت فيها بدلائل قوية في ضوء الأحاديث والآثار الصحيحة أن خطبة الجمعة لا تُسَنّ إلا باللغة العربية.

١٢- **الحجاب الشرعي:** وهي رسالة جامعة في موضوع الحجاب الشرعي للمرأة، مفعمة بالدلائل القوية من الكتاب والسنة.

١٣- **خوارق وعادات:** وهو كتاب فريد في موضوعه، بيَّن فيه الشيخ العلاقات بين الخوارق (المعجزات والكرامات)، وبين النواميس الإلهية، وأطال الكلام في إمكان المعجزة ودلالتها على صدق مدعي النبوة، والفرق بينها وبين الكرامة والاستدراج، وأبطل ببيانٍ عدلٍ شافٍ سائرَ تلك الشبهات الحديثة التي نشأت من تقليد ملاحدة أوروبة.

وكذلك من أشهر مؤلفاته: "فضل الباري شرح صحيح البخاري" و"فتح الملهم في شرح صحيح مسلم"، وسيأتي الحديث عن كل منهما في المبحث التالي.

المبحث الثاني: جهوده في الحديث النبوي:

يتميَّز الشيخ شبير أحمد العثماني بين كثير من علماء الحديث في عصره بصفات قلما اتصف بمثلها أحد منهم، فقد اشتغل – رحمه الله – بالحديث النبوي تدريساً وتأليفاً، إلى جانب قيامه بالأعمال الإصلاحية والدعوية الضخمة، وخوضه في الأمور السياسية والاجتماعية الكثيرة، والتي غالباً لا تدع للتفرُّغ لشيء آخر غيرها، ولكنه استطاع بفضل الله تعالى أن يجمع بين مهامين دون أن يقصِّر في أحدهما، حيث أنه ألَّف العديد من الكتب في موضوعات مختلفة كما سبقت الإشارة إلى ذلك في المبحث الأول، كما ألَّف أيضاً في الحديث وعلومه من الكتب والرسائل المفيدة، والتي سأقوم بتعريفها فيما يلي:

١ - مبادئ علم الحديث وأصوله (بالعربية):

وهو في الحقيقة مقدمة لكتابه الجليل "فتح الملهم بشرح صحيح مسلم" – سيأتي الحديث عنه –، أفرزها الشيخ عبد الفتاح أبو غدة – رحمه الله – عن الأصل في كتاب

مستقل، واعتنى به كما ذكر في مقدمة تحقيقه لـ"توجيه النظر" للعلامة طاهر الجزائري[1]، حيث قال: "ومقدمة (فتح الملهم) تتميَّز عن كتاب الشيخ العلامة الجزائري بمزايا نادرة تفرَّدت بها بين كتب المصطلح أشرتُ إليها في تقدمتي لها، وقد اعتنيتُ بها عنايةً تامةً: ضبطاً وتفصيلاً، وتعليقاً، وتأصيلاً، ... هيّأتها للطباعة بعون الله تعالى وفضله، وسمّيتها باسم أخذته من كلام مؤلفها العلامة الشيخ شبير أحمد في أولها، وهو: (مبادئ علم الحديث وأصوله)...".

وقد ذكر الشيخ شبير أحمد في هذه المقدمة أهم مباحث علم الحديث وأصوله، كما قال: " فهذه فصول نافعة مهمة في بيان مبادئ علم الحديث وأصوله التي يعظم نفعها، ويكثر دورانها، انتقيتُها من الكتب المعتبرة عند علماء هذا الشأن، مع بعض زيادات مفيدة سنحت لي في أثناء التأليف؛ فأحببت أن أجعلها كالمقدمة للشرح؛ ليكون الناظر على بصيرة فيما يتضمَّن عليه الكتاب من مباحث الحديث: متونه وأسانيده"[2].

وهو كتاب بديع حقاً، يكفي الْمُطالِعَ مؤنةَ البحث في مصادر لا نهاية لها، حيث أنه لم يترك فيه بحثاً يتعلق بعلم الحديث إلاَّ وتحدَّث عنه بتفصيل. أما منهجه في عرض المباحث فأذكره في النقاط التالية:

١) حاول جمع الأقوال المختلفة في كل مصطلح من المصطلحات التي يريد البحث فيها، من ذلك – على سبيل المثال – مصطلح "الحديث الحسن"، فهو ذكر أولاً إطلاق الحديث الحسن عند العلماء المتقدمين، وتقسيم الخطابي (ت٣٨٨هـ) للحديث، ثم ذكر تعريفه عند الخطابي للحسن، وشرح هذا التعريف، وبيَّن مراده بمعروفية المخرج، ثم اعترض على تعريف الخطابي، وذكر اعتناء الحافظ ابن الصلاح (ت٦٤٣هـ) بمبحث "الحسن"، حيث فسَّر تعريف الحسن عند الإمام الترمذي (ت٢٧٩هـ)

[1] انظر: الجزائري: طاهر، **توجيه النظر إلى أصول الأثر**، ج١، ص٦.

[2] العثماني، شبير أحمد، فتح الملهم بشرح صحيح مسلم، ج١، ص١٧.

والخطابي، واعترض على ابن الصلاح في تفسيره لتعريف الحسن عند الترمذي، ثم ذكر مصادر الحسن[1].

وهكذا طريقته في تعريف كل مصطلح من مصطلحات الحديث حيث أنه يعرِّف أولاً المصطلح، ثم يذكر أقوال العلماء فيه، ثم يناقشها مناقشة علمية جادة.

٢) إذا كانت المصطلحات لها علاقة بأحاديث "صحيح مسلم"؛ أشار إليها حيثما وُجدت فيه، من ذلك مبحث "المرسل"، ذكر فيه تعريفه، وآراء العلماء في قبوله، ودرجات المراسيل، ثم تحدَّث عن الأحاديث المرسلة في "صحيح مسلم"، والمنقطعات فيه، وأجاب عن سبب ورودها فيه، وذكر أنها متصلة من طريق أخرى عند مسلم وعند غيره، كما تحدَّث عن معلَّقات مسلم ومبهماته[2].

٣) ويورد أحياناً بعض المصطلحات الممزوجة مع المباحث الأصولية، منها: أنه حينما عرَّف الحديث المرفوع والموقوف والمقطوع؛ وضع عنواناً بـ "أفعال النبي ﷺ"، ونقل تحته قول الإمام فخر الإسلام علي بن محمد البزدوي (ت٤٨٢هـ) الذي قال: إنها أربعة أقسام: مباح، ومستحب، وواجب، وفرض، وفيها قسمٌ آخر وهو الزلة، لكن ليس من هذا الباب في شيء؛ لأنه لا يصلح للاقتداء، ثم تحدَّث عن زلة الأنبياء وغيرها من الأمور[3]. وكذا في مبحث الناسخ والمنسوخ من الأحاديث، حيث انتقل بعد التعريف به إلى بيان المفهوم الموافق والمخالف، وتحقيق مناط الحكم وتخريجه وتنقيحه[4].

وخلاصة القول: إن منهج الشيخ في الكتاب يتسم بشيئين:

الأول: التوسُّع في ذكر ما يتناوله.

---

[1] انظر: العثماني، مقدمة فتح المهلم بشرح صحيح مسلم، ج١، ص٦٤، ٧٤.

[2] العثماني، شبير أحمد، فتح الملهم بشرح صحيح مسلم، ج١، ص٨٥.

[3] انظر: مقدمة فتح الملهم بشرح صحيح مسلم، ج١، ص٩٦، ٩٧.

[4] الندوي، ولي الدين بن تقي الدين، **جهود علماء الهند في علوم الحديث الشريف**، بحث منشور في مجلة "البعث الإسلامي" في عدد٨، المجلد٥٤، عام ١٤٣٠هـ، ص٥٥، ٥٦.

والثاني: ذِكر بعض المباحث الأصولية، ولا شك أنه سمة بارزة لهذا الكتاب بين كثير من كتب مصطلح الحديث وأصوله، ما حفز العالِمَ المحقِّق المحدِّث الأصولي الشيخ عبد الفتاح أبا غدة – رحمه الله – أن يعتني به ليعم به النفعُ.

طبعاته:

طُبع هذا الكتاب مع الأصل "فتح الملهم بشرح صحيح مسلم" لكونه مقدمةً له، ثم قام بتحقيقه والتعليق عليه الشيخ عبد الفتاح أبو غده – رحمه الله تعالى –، والذي طبعه بعد وفاته نجلُه الفاضل الأستاذ سلمان أبو غدة بعنوان: "مبادئ علم الحديث وأصوله"، في عام ١٤٣٢هـ/٢٠١١م.

٢ – فضل الباري شرح صحيح البخاري (بالأردية):

إن "الجامع الصحيح" للإمام البخاري أبي عبد الله محمد بن إسماعيل (ت٢٥٦هـ) من أصحِّ الكتب المؤلَّفة إطلاقاً بعد كتاب الله تعالى، والمتلقَّى بالقبول لدى الأمة بأكملها، وقد خُصَّ بمزايا عديدة من بين دواوين الإسلام. لذا فقد اعتنى العلماء به حفظاً، وسماعاً، وضبطاً، وتفسيراً، وشرحاً، واختصاراً، فكان من بين تلك الشروح الكثيرة "فضل الباري" للشيخ شبير أحمد، الذي هو عبارة عن تلك الدروس التي ألقاها أثناء فترة تدريسه في "دارالعلوم ديوبند"، وقيَّدها أحدُ تلامذته، ثم راجعها الشيخ مراجعة دقيقة أثناء تدريسه في "الجامعة الإسلامية" بداهبيل، ولكن لم يتيسَّر له إتمام المراجعة، ومع ذلك لهذا الشرح قيمة علمية كبيرة عند مدرِّسي الحديث الشريف وطلابه في بلاد شبه القارة الهندية؛ وذلك لما يحتوي هذا الكتاب على تحقيقات بديعة، وأبحاث نادرة، ونكات علمية يتعذَّر وجود مثلها في كتاب.

كما أنه يُعتبر أول شرح بديع باللغة الأردية في أسلوب سهل وبسيط، كأن المؤلف كتبه بهذه اللغة ليكون أقربَ إلى الفهم لمن لا يعرفون اللغة العربية ، فقد شفى وكفى من كلّ ناحية في الصناعة الحديثية.

منهجه فيه:

١ - بدأ الشيخُ هذا الكتاب بمقدمة علمية طويلة تحتوي على معلومات قيمة تتعلق بالحديث وعلومه.

٢ - شرح تراجمَ أبواب الكتاب (أي الصحيح) بطريقة سهلة جداً.

٣ - اهتمَّ في تراجم الرواة بذكر أحوالهم الخاصة التي قلما ينتبه إليها الشراح، واعتنى بضبط أسماء الرجال من المختلف والمؤتلف والمتفق والمفترق، وذكر غريب كل حديث بأسلوب سهل، وحقَّق بعض المواضيع التي أورد عليها بعض أئمة هذه العلوم من النقد من حيث الصناعة ولم يستسغ قول من قال: "كل من أخرج له الشيخان فقد قفز القنطرة"[١].

٤ - ولم يأل جهداً في تأييد المذهب الحنفي خلال شرحه المسائل الفقهية مقارناً مع المذاهب الفقهية الأخرى شأن علماء الهند الجامعين بين الحديث والفقه.

٥ - استدلَّ بالأدلة العقلية والنقلية التي يلائم ثقافة العصر.

٦ - ردَّ على أصناف من أهل الزيغ والأهواء، في أسلوب علمي هادئ، وفي نزاهة بالغة اكتسبها من أهل الحديث والفقه.

٧ - اهتمَّ بعزو جميع الأقوال إلى مصادرها ومراجعها التي استفاد منها في شرح الأحاديث وتحقيق المسائل.

ثناء العلماء عليه:

وقد أثنى على هذا الشرح كثير من العلماء ثناءً عطراً، أنقل فيما يلي بعض ما قالوا فيه:

يقول المحدِّث الشيخ محمد يوسف البنوري رحمه الله تعالى: "إن (فضل الباري في شرح صحيح البخاري) اسم على مُسَمَّى، فهو كالبدر الذي كلما التفتَّ رأيته أمام

[١] فضل الباري شرح صحيح البخاري، ج١، ص٤٥-٤٦

عينيك، يهديك إلى الطريق الصحيح، ويملأ طريقك نوراً وضياءاً، وكالشمس في كبد السماء، تُرسِل أشِعَّتَها لكي تُضيء للناس فيسيروا في طريقهم المضي المشرق"[1].

ويقول الشيخ فضل الحق العثماني: "هذا الشرحُ ذخيرةٌ نادرةٌ في اللغة الأردية، وقد وضَّح الشارح كل مسألة بالاستدلال، فكأنه بذلك قد جمع ماءَ البحر في كأس! وهو أفضل شروح (صحيح البخاري) بالأردية على الإطلاق"[2].

طبعاته:

طُبع هذا الشرح في مجلَّدين، في إدارة العلوم الشرعية بكراتشي، ما بين عام ١٩٧٣ و١٩٧٥م، ثم تكرَّرت طبعاته. وتُرجم المجلد الأول بالإنكليزية.

٣ – فتح الْمُلْهِم بشرح صحيح الإمام مسلم (بالعربية):

يُعتبر "صحيح مسلم" من أصح كتب الحديث التي تلقَّتها الأمة جمعاء بالقبول بعد "صحيح البخاري"، إلأ أن المغاربة جعلوه في المرتبة الأولى قبل البخاري لجودة ترتيبه وحُسن تبويبه. وقد تناوله علماء الأمة بالرواية والدراسة، والشرح والتخريج، فكثرت له الشروح، ومن أبرزها: شروح القاضي عياض (ت ٥٤٤هـ)، وأبي عبد الله محمد بن علي المازري (ت٥٣٦هـ)، وأبي العباس أحمد بن عمر القرطبي (ت٦٥٦هـ)، والإمام أبي زكريا يحيى بن شرف النَّووي (ت٦٧٦هـ)، وأبي عبد الله محمد بن خليفة الأُبِّيّ (ت٨٢٧هـ)، رحمهم الله جميعاً، وجميعُ هذه الشروح مفيدة، ولكل واحد منها ميزة وخصائص لا تُنكَر، غير أنه لم يكن لـ"صحيح مسلم" شرحٌ على طراز "فتح الباري" وهو شرح الحافظ ابن حجر (ت٨٥٢هـ) لـ"صحيح البخاري" في بسط المباحث المتعلقة بالحديث[3].

وهذا ما دفع الشيخَ شَبِّير أحمد إلى تأليف شرح مبسوط لـ"صحيح مسلم" يملأ هذا الفراغَ بالقدر المستطاع في هذه العصور الأخيرة، فكان – رحمه الله — قد بدأ تأليفه في

[1] العثماني، شبير أحمد، فضل الباري شرح صحيح البخاري، ج١، ص٢٣.

[2] العثماني، شبير أحمد، مسألة تقدير، ص٣.

[3] العثماني، محمد تقي، في مقدمته لـ"فتح الملهم بشرح صحيح الإمام مسلم"، ج١، ٥.

١٣٣٣هـ (١٩١٤م)، واستمرَّ في ذلك مع اشتغاله بالتدريس، وقيامه بأنشطته الدعوية والسياسية وغيرها، ولكن للأسف الشديد أنه لم تتح له الفرصة في إكماله، وقد بلغ إلى كتاب النكاح[١]، ثم اخترمته المنية دون بلوغ الأمنية، ثم قيَّض الله تعالى لإكمال هذا الشرحِ القاضي الشيخ محمد تقي العثماني - أحد كبار علماء العالم الإسلامي المشهورين بتضلعه من علم الحديث والفقه-، فأكمله - حفظه الله — من حيث لم يستطع المؤلِّفُ إكماله، فجاء الكتاب في ست مجلدات ضخام مع التكملة، وأعرض فيما يلي منهج الشيخ شبير أحمد العثماني أولاً، ثم أختصر الحديث عن منهج صاحب التكملة.

منهجه فيه:

يتلخَّص منهج الشيخ شبير أحمد في شرح "صحيح مسلم" على النقاط التالية:

١ - بدأ الشرحَ بمقدمة علمية ضافية عن علم الحديث تشتمل على (٢٠٨) صفحة، فقد سبق الحديث عنها.

٢ - شرَح مشكلات الحديث مما يتعلَّق بذات الله سبحانه وتعالى، وصفاته وأفعاله والحقائق الأخرى الغامضة.

٣ - نَقَل عمدة أقوال العلماء في كل باب.

٤ - سَعَى إلى تفهيم الغوامض وتسهيلها بالأمثلة والنظائر بحيث يتقرَّب إلى الفهم.

٥ - نَقَل مذاهب الأئمة المتبوعين في الفروع من كتبهم المعتمدة.

٦ - خدم المذهبَ الحنفيَّ وأيَّده بدلائل قوية من الأحاديث والآثار الصحيحة، ووضَّح كثيراً من مسائله المختلف فيها بكل حيطة ونصفة، وبذلك أصبح هذا الشرح مرجعاً في الفقه الحنفي أيضاً عند علمائه، بحيث يمكن لهم الرجوع إليه في خلافاتهم وبحث مسائلهم.

٧ - نقل بعض نكات السلوك والإحسان، ومقاصد الشريعة من كتاب "حجة الله البالغة" للإمام ولي الله الدهلوي (ت١١٧٦هـ).

[١] الصديقي، محمد سعد، **مساهمة باكستان في خدمة علم الحديث النبوي**، ص٣٤٧.

٨ – دفع شبهات المتنوِّرين بتقليد الغرب، والمتأثِّرين بالمستشرقين، وقدَّم ردوداً مفحمةً عليهم بالاستدلال العقلي والنقلي، وبذلك نجده قد دافع عن الدين والسنة دفاعاً قوياً.

٩ – جمع بين كثير من الأحاديث المتعارضة ووفَّق بينها.

١٠– جمع الأحاديث من المصادر والكتب المختلفة تحت باب واحد، ورجع إلى المصادر الأصلية في كل ما نَقَل، وعزا النصوصَ إليها بكل أمانة ودقة.

ثناء العلماء على الكتاب:

وقد أشاد بهذا الكتاب كبارُ علماء الحديث في الهند وغيرها في البلاد الإسلامية حين ظهر لأول مرة، وأكتفي هنا بما ذكره الشيخ محمد زاهد الكوثري في وصف هذا الكتاب، يقول رحمه الله: "وها نحن أولاء قد ظفرنا بضالتنا المنشودة ببُروز (فتح الملهم في شرح صحيح مسلم) بثوبه القشيب، وحلله المستملحة، في عداد المطبوعات الهندية، وقد صدر إلى الآن مجلدان ضخمان منه، عدد صفحات كل مجلد منهما خمسمئة صفحة، وعدد كل صفحة خمسة وثلاثون سطراً ...

وقد اغتبطنا جد الاغتباط بهذا الشرح الضخم الفخم، صورةً ومعنىً؛ حيث وجدنا قد شفى وكفى من كل ناحية، وقد ملأ بالمعنى الصحيح ذلك الفراغ الذي كنا أشرنا إليه، فيجد الباحث مقدمةً كبيرةً في أوله، تجمع شتات علم أصول الحديث بتحقيق باهر، يصل آراء المحدِّثين النَّقَلَة في هذا الصدد بما قرَّره علماء أصول الفقه على اختلاف المذاهب، غير مقتصر على فريق دون فريق، فهذه المقدَّمة البديعة تكفي الْمُطالِعَ مؤنةَ البحث في مصادر لا نهاية لها. وبعد المقدمة البالغة مئة صفحة[1] يلقى الباحث شرح مقدمة (صحيح مسلم) شرحاً ينشرح له صدر الفاحص؛ حيث لم يدع الجِهْبذُ موضعَ إشكالٍ منها أصلاً، بل أبان ما لها وما عليها بكل إنصاف، ثم شرح الأحاديثَ في الأبواب بغاية من الاتِّزان؛ فلم يترك بحثاً فقهياً من غير تمحيصه، بل سَرَد أدلة المذاهب في المسائل، وقارن بينها، وقوَّى القويَّ،

[1] وقد بلغ عدد صفحات المقدمة في طبعة دارالقلم بدمشق مئتين وثماني صفحات.

ووهَّن الواهيَ بكل نصفة، وكذلك لم يهمل الشارحُ المفضال أمراً يتعلق بالحديث في الأبواب كلها، بل وفاه حقَّه من التحقيق والتوضيح؛ فاستوفى في ضبط الأسماء، وشرح الغريب، والكلام على الرجال، وتحقيق مواضع أورد عليها بعض أئمة هذا الشأن وجوهاً من النقد من حيث الصناعة، ... وأثار من ثنايا الأحاديث المشروحة فوائد شاردة، وحقائق عالية لا ينتبه إليها إلا أفذاذ الرجال وأرباب القلوب، ولا عجبَ أن يكون هذا الشرحُ كما وصفناه، وفوق ما وصفناه عند المطالع المنصف ..."[١].

ويقول العلامة أبو الحسن الندوي (ت١٤٢٠هـ) مشيداً بهذا الكتاب[٢]:

"وقد قيَّض الله في عصرنا الحاضر، وفي محيطنا العلمي الديني والتأليفي: العلامة الشيخ شبير أحمد العثماني الديوبندي لشرح (صحيح مسلم)، وكان جديراً بذلك، قديراً عليه؛ لرسوخه في العلوم الشرعية، وتضلُّعِه منها، مع صحة العقيدة، وسلامة الفكر، وما يحتاج إليه الجيلُ الإسلامي الجديد، والعصرُ الحديث من تحقيقات وإقناعات علمية عقلية كلامية، وما يقتضيه الزمانُ من بسطٍ في بعض المواضع وإيجازٍ في بعضها، وما أُثِير في هذا العهد من بحوثٍ وتساؤلاتٍ وتشكيكاتٍ لتأثير الحضارة الغربية، والنُّظُم التعليمية الأجنبية مع بيان أسرار الشريعة ...، مع استدلال للمذهب الحنفي في القضايا الشرعية، وإيضاحه مع البحث الْمُقارَن والدراسة المقارنة، ونقلِ ما انتقل من جيل إلى جيل من الدَّارسين لكتب الحديث، والمدرِّسين لها، من تحقيقات أساتذة هذه المدرسة الحديثية الحنفية، وما جاء منها في كتاب مطمور أو مغمور، لم يكن بمتناول طَلَبة هذا الفنِّ، مع إعطاء مذاهب غير المذهب الحنفي حقَّها من العرض الصحيح والبحث المنصف".

تكملة "فتح الملهم":

كما سبق أن ذكرتُ آنفاً أن الشيخ شبير أحمد لم يمهله الأجل لإكمال هذا الشرح، حيث توفي – رحمه الله – قبل ذلك، ثم قدَّر الله – عز وجل – أن يكون إكمالُ هذه

[١] الكوثري، محمد زاهد، مقالات الكوثري، ص: ٩٠-٩٢.

[٢] في مقدمته لتكملة "فتح الملهم"، ج١، ص٩.

السلسلةِ المباركة على يد العالم الراسخ الضليع، الحقوقي الكبير الشيخ محمد تقي العثماني، فأكمله – حفظه الله – في ستة مجلدات ضخمة، فكان بحُكم تضلُّعِه من العلوم الشرعية، وتناولها، وتلقِّيها من العلماء الراسخين، والأساتذة البارعين جديراً بذلك، قديراً عليه، فتناول في هذه التكملة عدداً كبيراً من القضايا، وما جاء في الحديث النبوي واحتوى عليه (صحيح مسلم) كغيره من كتب الحديث من أحكام وقضايا، قد تُثار حولها بحوث وتساؤلات بتأثير الثقافة الحديثة، والحضارة الغربية، والتشريعات الجديدة، بالبحث العلمي والمقارَن، وأزال ما أُثير حولها من شُبُهات كثيرة، وما استغلَّت لمنافع شخصية أو جماعية أو سياسية وما إلى ذلك[١].

فجاءت تكملة الشيخ تقي العثماني بمباحث بديعة دقيقة، وفوائد مبتكرة، في أسلوب عصري سهل، ويمكن تلخيص المنهج الذي سلكه في تأليف هذه التكملة على النقاط التالية[٢]:

١ – خرَّج الأحاديث من الأصول الستة مستوعباً، ومِن غيرها إذا احتاج ذلك.

٢ – ضبط أسماء الرجال الأماكن الواردة في الروايات، مع ترجمة الرواة باختصار.

٣ – أتى في بداية كل كتاب من كتب الصحيح بمقالة قيمة، وتحدَّث فيها عن أصول ذلك الكتاب وتاريخه وأسراره.

٤ – بيَّن الطُّرُقَ التي لم يخرِّجها الإمام مسلم في صحيحه، موضِّحاً لمعنى الحديث، ومفصِّلاً للقصة.

٥ – نَقَل المذاهبَ الفقهية مِن كتب أصحابها المعتمدة، مستدلاًّ بالكتاب والسنة، وتكلَّم عليها متناً وإسناداً بكل نصفةٍ وحيطةٍ، مراعياً لكلمة والده الجليل الشيخ محمد

---

[١] الغوري، سيد أحمد زكريا، **مقدمات الإمام أبي الحسن الندوي**، ج١، ص: ١٥١، ١٦٠، بتصرف.

[٢] ذكرها الشيخُ نور البشر بن نور الحق في ترجمة الشيخ شبير أحمد العثماني، نقلت هنا بزيادة وتصرف، انظر: "فتح الملهم"، ج١، ص١٠، ١١.

شفيع العثماني المشهورة التي قالها مخاطباً جماعةً من الطلاب: "لا بأس بأن تكونوا حَنَفِيِّين في مذهبهم الفقهي، ولكن إيَّاكم وأن تتكلَّفوا بجعل الحديث النبوي حنفياً".

٦ – التزم بإثارة الأبحاث التي أحدثها العصرُ الحاضر، والتي تخلو منها كتب المتقدِّمين، فأتى بكلام فصل في الباب بتصريحات فقهاء العصر، واستنباطٍ دقيقٍ من الكتاب والسنة، وكلام الفقهاء والمتقدمين.

٧ – اعتنى ببيان المسائل التي تركها المتقدِّمون؛ لكونها كانت مفروغاً منها عندهم، ولكن أثارها المستشرقون في عصرنا حولها شبهات وتشكيكات بعبارات ودلائل جديدة، وقلَّدهم المستغربون من المسلمين، مثل: مسألة الاسترقاق في الإسلام، ومسألة إباحة الطلاق، ومسألة المِلكية الشخصية، ومسألة ربا البنوك ... وأمثالها، ففنَّد الشيخ محمد تقي كلَّ ما يُثار حول هذه المواضيع من شُبَهٍ، ودحض أباطيلهم وتُرَّهاتهم في أسلوب مقنع يطمئن له قلبُ القارئ.

وهذا هو منهجُ الشيخِ محمد تقي العثماني الذي نهج عليه في تكملة هذا الشرح، ولعل قارئ الكتاب يلاحظ من خلال ما ذكرتُ في منهجه في التكملة أنه لم يلتزم فيها بأن يسير على نفس طريقة الشارح الأول، بل اختار أسلوباً غير أسلوبه في البحث والتحقيق والعرض للمسائل، فقد أجاب عن ذلك صاحب التكملة نفسه في مقدمته لها أنَّ ذلك لوجوه وجيهة ذكرها، وهي:

"أما أسلوب هذه التكملة فقد أشار عليَّ غير واحد من الأحباب أن أتبع أسلوبَ شيخنا العلامة شبير أحمد العثماني – رحمه الله – في حصته في الشرح، ولكنني لم ألتزم ذلك بوجوهٍ:

الأول: أن الثرى لا يطمع أن يبلغ الثريا، والضالعَ لا يدرك شأوَ الضليع، ولا سبيل لمثلي أن يحوز تلك العلوم والمواهب التي اختار بها الله مؤلف (فتح الملهم).

الثاني: أن التكلُّف في اتِّباع مؤلف آخر يخرج الكتابَ عن سيره الطبيعي، ويجعله بالمحاكاة أشبه من بالاتِّباع، وإنَّ مثل هذا التكلُّف لا يليق بشرح حديثٍ.

الثالث: أنَّ معظم ما أَلَّفه شيخنا – رحمه الله – في المجلَّدات الثلاث الأُول يتعلَّق بالعقائد والعبادات، وأمَّا الأبواب التي شرعتُ في شرحها جُلُّها في المعاملات والأخلاق والسير وغيرها، ولكلٍّ من الأبواب مقتضياتٌ خاصة، ولا يمكن أن يتبع في جميعها أسلوب واحد.

فمِن هذه الوجوه لم ألتزم توحيد الأسلوب من كل ناحية، ولكني اجتهدت أن لا يكون بين الحصتين بون بائن"[1].

قُبلت هذه التكملة مع أصلها بحفاوة بالغة، واستحسان عظيم منذ صدورها، وقد قرَّظ لها جلة فطاحل علماء العالم الإسلامي بكلماقم الفياضة، أمثال: العلامة أبي الحسن الندوي، والشيخ عبد الفتاح أبي غدة، والدكتور يوسف القرضاوي، والدكتور وهبة الزحيلي، وغيرهم.

طبعاته:

طُبع هذا الكتاب لأول مرة مع التكملة في إدارة إشاعة علوم القرآن بكراتشي في باكستان، ثم طبعته دار القلم بدمشق عام ١٤٢٧هـ، بإشراف لجنة التحقيق والتدقيق والدراسات التابعة لها، والتي تستحق بشكر القراء لما بذلته من جهد كبير لإخراج هذا الشرح على الصورة الأخيرة المكتملة المتميزة، رغم رداءة الطباعة القديمة للكتاب. لا شكَّ أنَّ الاعتناء الذي بذله الباحثون في خدمة هذا الكتاب قد زاد في أهميته أكثر مما كان قبل، حيث أصبحت الاستفادة سهلةً وممتعةً للطلاب والعلماء، فجزاهم الله عنها خير الجزاء.

٣ – لطائف الحديث:

وهو عبارة عن كتيب ذكر فيه الشيخُ بعض نكت علمية ولطائف بديعة تتعلَّق بالحديث وعلومه، والتي التقطها من كتب الحديث أثناء مطالته لها[2].

[1] العثماني، محمد تقي، تكملة فتح الملهم، ج١، ص١٩.

[2] ذكره الشيخُ نور البشر بن نور الحق في ترجمة الشيخ شبير أحمد العثماني، انظر: "فتح الملهم"، ج١، ص١١.

طبعاته:

طُبع هذا الكتاب قديماً في ديوبند في عام ١٣٣٣هـ.

٥ - سجود الشمس (بالأردية):

وهو بحث قيم شرح فيه حديث سجود الشمس لربِّها، واستئذانها منه للطلوع، ففيه تحقيق بديع قلما يوجد مثله في كتاب[1].

خاتمة:

هذه محاولة متواضعة في إبراز بعض أهم جوانب شخصية الشيخ شبير أحمد العثماني العلمية، وعن عطاءاته المميزة في مجال الحديث النبوي، والتي ما زالت مخفيةً عن كثير من الدارسين في مجال الحديث النبوي، فالحاجة ماسةٌ إلى التعريف بهذه الشخصية الفذة، والدراسة عن أعمالها العلمية القيمة التي قام بها في خدمة السنة النبوية المطهرة إلى جانب انشغاله في أمور السياسة والقيادة التي قلما يجمع شخص بينهما.

مراجع البحث:

١) أبو غدة، عبد الفتاح، **تراجم ستة من فقهاء العالم الإسلامي في القرن الرابع عشر وآثارهم الفقهية**، حلب: مكتب المطبوعات الإسلامية، ط١، ١٩٩٧م.

٢) الأعظمي، فضل الرحمن، **تاريخ الجامعة الإسلامية بداهيل**، ملتان: إدارة تأليفات أشرفية، ط١، ١٤٢٠هـ.

٣) الشيركوتي، أنوار الحسن، **حياة العثماني** (بالأردية)، لاهور: برنتنغ بريس.

٤) البخاري، حافظ محمد أكبر شاه، **أكابر علماء ديوبند (بالأردية)**، لاهور: إدارة إسلاميات، ط١، ١٤١٩هـ.

٥) البرني، عبد الرحمن، **علماء ديوبند وخدماتهم في علم الحديث**، ديوبند: أكاديمية شيخ الهند، ط١، ١٤١٩هـ.

٦) البنوري، محمد يوسف، **نفحة العنبر في حياة إمام العصر الشيخ محمد أنور**، ديوبند: معهد الأنوار، ط١، ١٤٢٤هـ.

٧) الجزائري، طاهر الدمشقي، **توجيه النظر إلى أصول الأثر**، تحقيق: عبد الفتاح أبي غدة، حلب: مكتب المطبوعات الإسلامية، ط٢، ١٤٣٠هـ.

٨) عبد الحي بن فخر الدين الحسني، **نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر (الإعلام بمن في تاريخ الهند من الأعلام)**، بيروت: دار ابن حزم، ط١، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.

٩) الرضوي، سيد محبوب، **تاريخ دارالعلوم ديوبند،** كراتشي: إدارة إسلاميات، ط١، ١٤٢٦هـ.

---

[1] المرجع السابق، ج١، ص١٢.

١٠) الصديقي، محمد أسعد، **مساهمة باكستان في علم الحديث النبوي**، لاهور: مكتبة القائد الأعظم محمد علي جناح، ط١، ١٩٨٨م.
١١) العثماني، شبير أحمد، **فتح الملهم بشرح صحيح مسلم**، دمشق: دارالقلم، ط١، ١٤٢٧هـ.
١٢) العثماني، محمد تقي، **تكملة فتح الملهم بشرح صحيح مسلم**، دمشق: دارالقلم، ط١، ١٤٢٧هـ.
١٣) الغوري، سيد أحمد زكريا الندوي، **مقدمات الإمام أبي الحسن الندوي**، دمشق: دار ابن كثير، ط١، ١٤٣١هـ - ٢٠١٠م.
١٤) الغوري، سيد عبد الماجد، **أعلام المحدثين في الهند في القرن الرابع عشر الهجري**، دمشق: دار ابن كثير، ط١، ١٤٢١هـ.
١٥) القارئ فيوض الرحمن، **مشاهير علماء ديوبند**، لاهور: مكتبة عزيزية، ط١، عام١٩٧٦م.
١٦) القاسمي، حبيب الرحمن، **علماء ديوبند اور علم حديث**، ديوبند: مكتب دارالعلوم، ط١، ١٣٩٩هـ.
١٧) لقمان حكيم، **محمد تقي العثماني: القاضي الفقيه والداعية الرحالة**، دمشق: دارالقلم، ط١، ١٤٢٣هـ.
١٨) الندوي، أبو الحسن علي الحسني، **نظرات في الحديث**، دمشق: دار ابن كثير، ط١، ١٤٢٠هـ، ١٩٩٩م.

مجلات وجرائد:

١٩) الراشدي، أبو عمار زاهد، **شبير أحمد العثماني**، مقال منشور في جريدة "**نوائ وقت**"، (الصادرة عن كراتشي - باكستان)، عدد١٣ فبراير عام ١٩٨٠م، ص٣.
٢٠) زيتون بيغم شمس الدين، **العلامة شبير أحمد العثماني وآثاره العلمية**، المنشور في مجلة "**الدراسات الإسلامية**" (الصادرة عن الجامعة الإسلامية العالمية بإسلام آباد - باكستان)، العدد:٣، المجلد:٢٦، عام: ١٤١٢هـ-١٩٩١، ص:١٠٦-١٤٩.
٢١) العثماني، محمد تقي، عدد ممتاز عن الشيخ محمد شفيع العثماني لمجلة "**البلاغ**" (الصادرة عن دارالعلوم الإسلامية بكراتشي — باكستان)، العدد: ٦، المجلد: ١٣، عام ١٣٩٩هـ، ص ٣١٢.
٢٢) الندوي، ولي الدين تقي الدين، **جهود علماء الهند في علوم الحديث الشريف**، بحث منشور في مجلة "**البعث الإسلامي**" (الصادرة عن دارالعلوم ندوة العلماء بلكنؤ - الهند)، العدد: ٨، المجلد: ٥٤، عام ١٤٣٠هـ، ص: ٥٥، ٥٦.